الحائكة

ذات مساء عدت إلى الدار فلم أجد أمي.. أين أمي؟ انطلقت أبحث عنها، وقادتني قدماي إلى هناك.. إلى الجرن الكبير حيث الزينات والأنوار ونساء القرية يقرعن بأيديهن على الصينية النحاسية، وهن يرددن الأغاني فرحًا بيوم عرسها.. ولم أصدق عيني..

كانت أمي تجلس على كرسي وسط نساء القرية، ترتدي فستانًا أبيضًا تلمع فيه حبات الترتر تحت الأنوار.. تتمايل مع الأغاني ودقات الطبول. هل هذه أمي التي كانت ترتدي السواد من الثياب بالأمس القريب؟ اندفعت مهرولًا في اتجاهها.. تراجعت.. انزويت بعيدًا.

ذات مساء تبلدت مشاعر أبي، وأرسل لها ورقة طلاقها منه ناكرًا للجميل متجاهلًا تعبها وسهرها الليالي وهى تعمل على ماكينتها في حياكة ملابس نساء القرية، حتى تساعده على مصاريف الجامعة حتى تخرج منها وتزوج من زميلته وسافر..

وأنين أمي يتأجج داخل صدرها في صمت وسكون. ومرت الأعوام وزلزلات صراخها خامدة بداخلها تشفق عليّ من الحرمان، أنا اليتيم وأبي مازال حيًا.

ذات مساء حضر إلى الدار رجال ما لبثوا أن انصرفوا. ووسط ضغوط جدتي وافقت أمي على الزواج. أخذت تبحث بعينيها وسط الحضور لعلها تلمح طيفي أو تراني..

دقائق عصيبة عادت بها إلى ذكريات وعذابات الماضي القريب، فسحبت منها الابتسامة العريضة التي كانت مرسومة على شفتيها منذ قليل. وسبحت في بحور بلا شطآن تبحث عني..

فتوقفت حين رأتني وتجمدت ملامحها حينما رأت العبرات تتساقط من مقلتي على الأرض في صمت وسكون. ودارت برأسها الأفكار والهواجس، ونبض قلبها نبضات سريعة متلاحقة. فإذا بها تخرج من بحور الاحتمالات خوفًا عليّ. فوثبت من مكانها مهرولة ناحيتي تاركة خلفها الزينات والأنوار.

وفتحت ذراعيها، فأسرعت مهرولًا ناحيتها، وارتميت في أحضانها أسمع دقات قلبها، وهو يناديني وحملتني بين يديها.. منزوية بي بعيدًا عن ضوضاء المكان، وجلست على الكرسي وأدارت ماكينتها لحياكة ملابس نساء القرية.

(تمت)